

الملك الشهميد

عبد الله بن الحسين

للأستاذ أحمد رمزي بك

— ٢٠ —

ليزد بنوا الحسن الشراف تواضعا هيات تكتم في الظلام مشاعل
فلقد علوت فما تبالي ، بمدما عرفوا ، أجمد أم بدم القائل
(النفسي)

• • •

كان الجو السياسي قائما ، يشبه الجو الذي يمر بنا الآن ، وكانت إيطاليا تستعد لنزو الحبشة ، ولأم اساسة الغرب سوى جسر النزاع في دائرة ضيقة ، كما يفعلون الآن في كوريا ، وأخذت بريطانيا الأهبة لنفسها حتى لا تقأجا ، فبمئت برجالها بجويون الشرق الأوسط والبلاد العربية ، فكان اللورد جورج لويد الوندوب السامي السابق بمصر في طليعتهم ، إذ جاء إلى فلسطين ونزل ضيفا على الوندوب السامي لفلسطين ، في ذلك القصر الذي شيد على طراز صليبي ، والذي كان يدكرني دائما بأبني داخل حصن يسكنه عميد الأسياتار أو قائد الداوية ، وهما منظمتان للفرسان الصليبيين التقينا (١) بأفرادهما في كثير من المارك التاريخية ، وعرفت سيوف السلف كيف تلين قناتهم ، وترسل الأسرى من أبطالهم هدايا إلى ملوك الهند وبقية آسيا . ما دخلت هذا القصر حتى غمرتنى الذكريات وشمرت بشي من المطف على اليهود ، فقلت إن هذا البناء يدعوني أن أقول لهؤلاء المصوم يوما « لقد جمع الشقاء بيننا » .. ولكن الأيام لم تسمح لي أن أنطق بذلك ؛ لقد خلع هؤلاء الظالم والشقاء ، ربيما نحن نجز ثياب الخزي والشقاء .

وفي مساء يوم السبت ١١ يناير سنة ١٩٣٦ ، أقام الوندوب

(١) أي نحن أهل مصر

السامي السير آرثر وكوهوب حفلة عشاء ساهرة بقصره احتفاء بمقدم اللورد لويد ، وكان على رأس المائدة المرحوم الملك عبد الله ابن الحسين ، طيب الله ثراه ، وعلى يمينه اللورد ، وجاء ترتيب مقدمي على يمين الوندوب السامي السابق ، الذي كان يهز مصر مزا في يوم من الأيام

وحضر دعوة العشاء سماحة مفتي فلسطين الأكبر الحاج أمين الحسيني ، وراغب بك الفشاشبي ، وروحي بك عبد الهادي ، وأمين بك عبد الهادي ، ورؤساء بلديات حيفا وياقا وناپلس وغزة والزملة ، وجاء مع الملك مستشاره فؤاد باشا الخطيب ، كما حضرها شكرى بك التاجي ويعقوب افندي فراج وإحسان هاشم ، أما الجانب البريطاني فثله الأميرالاي جارفيس حاكم سيناء ، وجلوب باشا ، والوندوب السامي في عمان كيرك برايد وعقيلته ، والستر ريتشمورد والستر فيرنس مدير المطبوعات ثم المستر موري من كبار موظفي حكومة فلسطين وعقيلته

وكنت قد طافت أنحاء الدار برفقة الستر فيرنس ، أحادثه عن عوائد الأسكوتلنديين وطرائفهم والوان القبائل ، وشمار البطون والأقسام ، لأنني رأيت الوندوب السامي حريصا على إظهار قوميته بشكل واضح ، ولا أخفي أنني أنجب بصراحة القوم واندفاعهم السريع نحو الغضب ونحو الرضا

ولما دخلنا حجرة الطعام وعرفت مجلسي مع اللورد ، لم أكن مرتاحا لتلك الجيرة ، فقد كنت أعرف كيف كان اللورد يتماهى على المصريين ، فما هو موقفه مع ممثل مصر ، والسكل يعرف ما نحن فيه ؟ فلم أشأ أن أبدا حديثا معه ، وإنما جلست كلامي مع جاري الأيمن الستر ريتشموند مدير الآثار ، واستمعت ببعض مسلمات الأولية في التاريخ لكي أجمل الحديث متواصلا وبلا انقطاع . وبعد دقائق تحرك اللورد العظيم فوجه إلى بعض الأسئلة : أين تلمت الإنجليزية ؟ وهل أقت بأبجلمرة ؟ كمدة لك بالقدس ؟ ولما علم أنني كنت قبل مجيئي إلى فلسطين بمفوضية مصر بأنقرة أخذ يسأل عن رجالها واحدا واحدا ، وعن نهضتها وسياساتها الخارجية وعلاقتها بالسوفييت وإيطاليا وفرنسا ، وعن جيشها واستعدادها وما تنوي عمله إذا ما هوجت من قبل موسوليني . ولما كنت على أسئلته بطريقة منطقية ومربحة كما أملت من

العرب وتسمهم نفسية الشباب نحو بريطانيا ، وأن كل تردد أو موقف سلبي سيزيد هذه الدعاية ويقويها

ولما سأله عن شرق الأردن قال إنه يتمتع باستقرار لا يتمتع به غيره من البلاد . وأشار إلى سوريا التي كانت مجتاحتها الأزمات ويقوم فيها ممثلو فرنسا بالتجربة وراء الأخرى

وكان الملك يعلم بنية بريطانيا في زيادة قوات الطيران وفي زيادة قوة الحدود بشرق الأردن . وهي القوة التي كانت تتحمل مصاريفها الحكومة البريطانية وحكومة فلسطين ، فقال بصراحة : إن الاعتماد على صداقة العرب أجدى من هذه الزيادة ؛ ولكن الحصول على ثقة العرب يتطلب في المقام الأول منح العدالة لهم في فلسطين وصد تيار الهجرة وإقناع سكان فلسطين بأن الانتداب ليس معناه خدمة الصهيونية فحسب ، بل الدفاع عن كيان العرب والحفاظة على حقوقهم ، وتأمين مستقبلهم ...

تقدم دهشت من منطق عبد الله بن الحسين ، إذ ما كنت أتصور فيه تلك الجرأة في التعبير عن آرائه ، أما اللورد الذي كانت إرادته هي كل شيء في مصر ، وكانت عباراته قوية لدرجة أن وافقه اللورد عليها بل وأظهر عطفه على مطالب العرب وقال إن بلاده لم تلم فرنسا إلا باحتلال الساحل ، إن سوريا كان مفهوما ومتفقا عليه أن تكون مستقلة لا ولاية ولا مستعمرة تحتها فرنسا وتعمل بها ما تشاء . وقال إن الانتداب يجب أن يتجه لحماية العرب من توغل اليهود في فلسطين ، وكان اللورد ينادى بالانفعال لا يقدر على إخفاء شعوره نحو العرب مندفعاً مع الملك في حديثه حينما وجد على المائدة طبقاً من التزييل المسكر فأخذ يقدم ما فيه لذلك ولي يتناول منه قطعة وراء قطعة حتى اكتشف في النهاية سؤالا نقلنا من كل هذا ... إذ قال ما رأى الأمير في الملك عبد العزيز بن السعود ؟ فالتفت إلى الملك وقال أسأله ما رأيه هو فيه ؟ أريد أن أسمع حكمه أولاً . فتردد اللورد قليلاً ثم قال إنني أعرف الحجاز تماماً وأعرف قبائله ورجال البادية في ربهه إذ عشت هناك طول مدة الحرب الماضية؛ وقد قرأت كثيراً عن الملك عبد العزيز بن السعود وقدرت مواهبه ولكن الصورة التي انطابت في مخيلتي من جلالته ، زالت حينما لقيته لأول مرة في الطائف وكان ذلك في سنة ١٩٢٥ ،

البدل أن ما أعرفه من الإنجليزية هو من صناعة مدارسنا المصرية وأنا لم أكن خريج أي معهد بريطاني ، اعتدل كثير في مناقشته وبدأ يرحب بالإجابة على أسئلتى التي وجهتها إليه عن حقيقة مهمته في الشرق ولماذا يترك واجباته السياسية وأعماله المالية ليقوم برحلته الطويلة : وكما كنت صريحاً معه ، كان هو من جانبه صريحاً معي . . . ونلم جيماً ما تخففت عنه رحلة اللورد من إنشاء المعاهد والمجالس البريطانية ، زيادة الروابط الثقافية بين بلاده وبقية بلدان الشرق

لم يكن يدور بخدي ساعته إذ أنني استمد لأداء امتحان للترجمة بين الملك عبد الله بن الحسين واللورد لويد ، إذ بعد دقائق دار حديث سياسي بين الرجلين العظيمين عن شؤون الشرق والبلاد العربية ، وكان الملك يتتبع بنظرانه كل كلمة أنطق بها وكان اللورد بما يعرفه من العربية يتتبع كل تعريب ونقل لآرائه

ولأخفي على القاري أنني خرجت من الحديث وأنا أؤمن بوطنية الملك عبد الله بن الحسين ، وعمق رغبته السياسية ووسائله في إقناع محدثه واجتذابه لصفه لقد وفق الملك الراحل بكلماته من أن يحمل اللورد الإنجليزي يعطف على قضية شرق الأردن ، ويثق في مقدرة الملك العربي ولباقته وإحلامه لمبادئه

واقدم كان عبد الله بن الحسين مدافعاً عن حق العرب في فلسطين وشرق الأردن وفي سوريا ولبنان وفي العراق : كان يقول بأن الأمم العربية لها مطالب يجب على بريطانيا أن تفيهم إليها إذ لهم حقوق ومواثيق ووعود ... وأنه يجب أن تضع بريطانيا بين أن تستمد للحرب عسكرياً ، إجابة هذه الثائب في المقدمة ، وأن صداقة العرب في أي نزاع آمن لها من صداقة الغير ، وأفيد لها عند الجدم من تمبئة الجنود وزيادة القوة العسكرية في بلادهم

قال إن العرب بطبيعتهم لا يعملون لإيطاليا بعد الدور الذي لعبته في طرابلس ، وبعد أن نكلت جيوشها بالمجاهدين وبممر الحنار ، وأنهم يطمئنون إلى صداقة بريطانيا إذا أوقت بمهودها ومكنتهم من وحدتهم وحرمتهم واستقلالهم

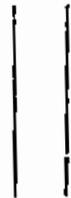
وكانت بريطانيا تضحى غاية الطليان وآثارها ، فقال إن أخطاء بريطانيا هي التي ستمكن لهذه الدعاية أن تنتقل في أفكار

لأن لديه بشرق الأردن عددا من الحجازيين قد لجأوا إليه فهم
 يذكرونه عند كل لقاء بأن عليه أن يعمل شيئا لهم ، واختتم
 كلامه بأنه لا يقدر أن يرد واحدا منهم لو جاء إليه ، وأنه ليسد
 أن يعطى كل ما يملك لهم وأن يقتسموا ملبسه وما كله ...
 كان كلامه مؤثرا في تلك اللحظة وكنت أجد متعة في نقله
 والتعبير عن آرائه .. لقد خرج عبدالله بن الحسين عن الملك والإمارة
 وأصبح إنسانا يتحدث بماطفته وقلبه وشموره ، ولم يقف عند
 هذا الحد إلا بعد أن قام التدرب وشرب نخب ملك الإنجليز ،
 والأمير الأردني واللورد بكربة ماء احتراما للحاضرين ، ودخل
 أفراد من فرقة القرب بكامل ملابسهم الحمراء يحيمون الحاضرين
 بعزف بعض المقطوعات الاسكتلندية : وانصرفنا جميعا إلى
 الردهة الكبرى ... حيث يسودها ذلك الجو الصليبي الذي
 يشمرى بأى وسط غمرات الحروب الصليبية وجنود الأفرنج
 وأعلامهم ورنو كهف وأسلحتهم

أحمد رمزي

تاريخ الأدب العربي

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك



يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا
 العصر، بأسلوب قوى ، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل،
 واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى
 طبع اثنتي عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة
 وتمته أربعون قرشاً عدا أجر البريد

كنت أنتظر من رجل البادية الذي أسس ملكه بسيفه ،
 واستنفذ الرياض وجمع حوله الإخوان وربط بين أجزاء الجزيرة
 فكون منها وحدة في القرن العشرين ، رجلا آخر . ولعل رؤيتي
 له في وقت كان يستمد فيه ويستجم بعد طول الجهاد والكفاح ،
 أظهرته لي على غير حقيقته
 ولما نحن معاشر الإنجليز نخطى في الحكم لأول وهلة ،
 فنحن نراه رجلا للبادية لا يستوعب ضرورات المدنية الحديثة
 وينفر من كل جديد ، ولا نشك في أن فتح الحجاز كان عبثا عليه ،
 وإن هذه البلاد الفقيرة ستتحمل زيادة على فقرها استفلال
 السموديين لمرافقتها

وكان الملك لبقا في إجابته إذ قال إنه متفق تماما على رأى
 اللورد في أن أهل الحجاز ما انفكوا يشكون في الإدارة
 السمودية وأنهم يأتون إلى عمان وينقلون أخبار الفاقة السائدة
 هناك

وقال اللورد: إن الذي يهمننا هو استتباب الأمن والنظام
 وإيجاد حكومات تشعر بأهمية ذلك .. وما دامت الحدود محفوفة
 ولا تقوم ثورات في شمال الحجاز. وقد صفت مشكلة الجوف
 نهائيا فلا أعتقد بوجود خطر في هذه الناحية .. كما أن الحرب إذا
 قامت في أى وقت في أوروبا أو أفريقيا فأغلب الظن أن عذ
 الجزيرة العربية سوف لا تتأثر بقيام نزاع مسلح بين زعماء
 العرب

كانت حوادث الاعتداء على حدود الأردن الصحراوية
 لا تزال ماثلة، وكذلك حركة ابن رفاة في شمال الحجاز؛ وما دار
 بين ابن السمود وقيصل الدوبش ، ولكن أنتظر اللورد كانت
 تحوم حول العراق وما قد تحدث فيه من الحوادث بعد وفاة
 فيصل الأول وتحت قيادة غازي الأول، وكانت عيناه تتجهان
 بيننا وشمالا حينما ذكر الملاقة بين الملك عبدالمزير وقبائل
 الدولة في الشام

كل هذا لم يقن الملك عبدالله بن الحسين عن أن يذكّر الحجاز،
 وأن الهاشميين أبنائه وسدنته وأنه الأرض المقدسة التي
 يتجه لها المسلمون في مشارق الأرض ومقاربها : وأن توابه
 عرش الأردن لا يمنه من تتبع أخبار الحجاز وآماله ومستقبله ،